البحث الثالث

الصَّبر والثبات على السُّنة واعتقاد سلف الأمَّة

تأليف

د/ خالد بن ضحوي الظفيري

عضو هيئة تدريس منتدب في كلية الشريعة جامعة الكويت

ومعلم وإمام وخطيب في وزارة الأوقاف

الصبر والثبات على السنة واعتقاد سلف الأمة

خالد بن ضحوي الظفيري
قسم العقيدة، كلية الشريعة، جامعة الكويت، الكويت
البريد الالكتروني: Almadani.kh@gmail.com

الملخص:

يهدف البحث إلى تثبيت صاحب العقيدة الصحيحة على ما يدين الله به مما جاء في القرآن والسنة وما أجمع عليه علماء الأمة، وكذلك بيان فضل الصبر على السنة ومنزلته عند الله، وأيضا توطين العبد المؤمن على الابتلاء خصوصا في باب الاعتقاد، كما يذكر البحث نماذج من صبر العلماء على السنة والحق ليقتدي بهم صاحب الحق، واعتمدت في البحث على المنهج التحليلي، والتاريخي، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها: أن الابتلاء سنة من سنن الله تعالى، ومن أعظم الابتلاء ابتلاء المسلم في عقيدته وتوحيده، كما أنه بالابتلاء يتميز المؤمن من المنافق، والصابر من المتزعزع في دينه، وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيجب أن يوطن العبد نفسه على الابتلاء خصوصا في دينه، **ومن النتائج:** أن العداوة والكيد من أهل الباطل بشتى أصنافهم، من ملاحدة وزنادقة وأهل كفر وملل ونفاق، ومن أهل ضلال وابتداع وأهواء، هو نوع من أنواع البلاء الذي يصيب أهل السنة، كما أصاب الأنبياء قبلهم من مخالفيهم من أهل الكفر والعناد، وكذلك أن أهل البدع والضلال سلكوا ضدّ أهل السنة وعلماء الملّة كل سبيل ممكن للنيل منهم، فهم لا يرقبون في صاحب السنّة إلاً ولا ذمّة، فقد وصل الأمر إلى تدبير قتلهم، أو نفيهم أو سجنهم أو تعذيبهم، أو إيقاع الضرر عليهم بأي نوع من الضرر يستطيعونه، ومن سنة الله تعالى في امتحان أهل الحق بأهل الباطل، فيعادون أهل السنة، ويكذبون عليهم، ويشوهون صورتهم بالزور والبهتان، ويقلبون الحق باطلًا والباطل حقً، ومن مكائدهم: كذبهم على أهل السنة، وتزوير الأقوال عليهم،

ونسبة الباطل لهم، وتلفيق التهم الجائرة، وإلصاق المعايب بهم، علّهم بذلك ينفِّرون النّاس عن السنة وعن أهل السنة، ومن مكائدهم كذلك: تأليب السلطان على أهل السنة وعلماءهم، وتشويه صورتهم لديهم، وإظهارهم بمظهر الخارج على الولاة، الداعي إلى الفتنة ونزع يد الطاعة، وأخيرا من ثمرة الصبر والثبات مآل العاقبة للمتقين، والخاتمة الحسنة لأهل السنة، وبقاء الذكر الحسن لهم دون غيرهم، وأن مآل البدع وأهلها الافتضاح والعاقبة السيئة دنيا وأخرى.

الكلمات المفتاحية: الصبر، الثبات، السنة النبوية، السلف، اعتقاد.

Patience and steadfastness in the Sunnah and the belief of the nation's predecessors

Khaled bin Dhawi Al-Dhafiri

Department of Doctrine, College of Sharia, Kuwait University, Kuwait

E-mail: Almadani.kh@gmail.com

Abstract:

The research aims to confirm the owner of the correct belief in what God owes him from what was stated in the Qur'an and the Sunnah and what the scholars of the nation have unanimously agreed upon, as well as explaining the virtue of patience in accordance with the Sunnah and his status with God, and also instilling the believing servant in the test, especially in the matter of belief. The research also mentions examples of patience. Scholars follow the Sunnah and the truth so that the one who has the right to follow them, and I relied in the research on the analytical and historical method, and among the most important results that I reached: that the test is one of the laws of God Almighty, and one of the greatest tests is the test of a Muslim in his faith and monotheism, Likewise, by trial, the believer is distinguished from the hypocrite, the patient person is distinguished from the one who is shaken in his religion, and the people who are most severely tested by the prophets, then the best, then the best, so the servant must accustom himself to the test, especially in his religion, and among the results: enmity and plotting from the people of falsehood of all kinds, from atheists, heretics, and infidels. And boredom and hypocrisy, and from the people of misguidance, innovation and whims, is a type of affliction that befalls the Sunnis, just as the prophets before them afflicted those who opposed them from the people of disbelief and

stubbornness. Likewise, the people of heresy and misguidance have taken every possible way against the Sunnis and the scholars of the religion to harm them, so they do not watch. There is no obligation on the follower of the Sunnah, as the matter has reached the point of planning to kill them, exile them, imprison them, torture them, or inflict harm on them with any kind of harm they can. It is from the Sunnah of God Almighty to test the people of truth against the people of falsehood, They antagonize the Sunnis, lie to them, distort their image with falsehood and slander, and turn truth into falsehood and falsehood into truth. Among their machinations: their lying about the Sunnis, falsifying statements about them, attributing falsehood to them, fabricating unjust charges, and ascribing faults to them. Perhaps by doing so they will alienate people from the Sunnah and from the People of God. The Sunnah, and also among their machinations: pitting the ruler against the Sunnis and their scholars, distorting their image before them, and presenting them as outsiders against the rulers, calling for sedition and taking away the hand of obedience. Finally, from the fruit of patience and steadfastness is the outcome of the outcome for the righteous, a good ending for the Sunnis, and the perpetuation of good remembrance for them and not for others. The fate of heresies and their people is exposure and bad consequences in this world and the next.

Keywords: Patience, Steadfastness, The Sunnah of the Prophet, The predecessors, Belief.

المقـــدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمـــد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهـــد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[2]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3].

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد، فلقد خلق الله تعالى الخلق لعبادته، وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض ليتوجهوا إليه بإخلاص العبادة له وحده لا شريك، ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[4]، ولكن العبد في طريقه إلى الله تعالى تحفه الشبهات والشهوات، فإمّا أن يقابلها بالصبر فيسلم عند هيجان الشهوات، وباليقين فيثبت عند ثوران الشبهات، فيكون من الصابرين الفائزين الثابتين، ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[5].

فأما فتنة الشبهات فقد جاء عنه ﷺ من غير وجه: أن أمته ستفترق على أزيد من

---

(١) سورة آل عمران:١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠ – ٧١.

(٤) سورة الملك: ٢.

(٥) سورة السجدة: ٢٤.

سبعين فرقة، وأن الصواب في اتباع السنة والاعتصام بكتاب الله – تعالي– .[1]

وأما فتنة الشهوات فقد حذر منها النبي ﷺ فقال فيما رواه عنه عمرو بن عوف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « فَأَبْشِروا وَأَمِّلوا ما يَسرُّكُمْ فوالله ما الفَقْرَ أَخشَى عَلَيْكمْ وَلَكنِّي أَخشَى أنْ تُبْسَطَ عَلَيْكمْ الدّنْيَا كما بُسِطَتْ على من كان قَبْلَكمْ فَتَنَافَسوهَا كما تَنَافَسوهَا وَتهْلِكَكُمْ كما أَهْلَكَتْهمْ»[2].

وكلما طال العهد وبَعُد عن زمن النبوية والرسالة، وقَربُت الساعة ؛كلما كثُرت الفتن، وانتشرت المحن، فأصبح المتمسك بدينه يعيش وحيداً فريدا في سلوكه ونهجه حتي لو تقلب بين ظهراني الناس، وهذا من علامات نهاية الدنيا، والأحاديث في وصف أهل الإيمان بالقلّة والغربة كثيرة، تدعو العبد أن يصبر على الحق والإسلام، ويثبت على السنة وسبيل السلف الصالح، حتى ينال أعظم الأجور، ويبلغ أرفع المنازل، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «بدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وسَيَعُودُ كما بدَأَ غَرِيبًا فطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»[3].

ووجه الشبه بين مبدأ الإسلام وحال غرباء آخر الزمان؛ عدم وجود الأعوان على الخير،

---

(١) السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ثالثة، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م، باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء – ج ١٠ ص ٣٥١– المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية – بيروت، ط ١١٤١١ه – ١٩٩٠م، كتاب الفتن والملاحم – حديث رقم ٨٣٢٥ وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، ط دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) أولي ١٤٢٢ه، كتاب الجزية – باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب حديث رقم ٣١٥٨، ج ٤ ص ٩٦.

(٣) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت بدون تاريخ– باب بدأ الإسلام غريبا – حديث رقم ١٤٥، ج ١ ص ١٣٠.

قال ابن عبد البر: " قال أبو عمر فما تلك بعبادة الله وإظهار دينه في ذلك الوقت أليس هو كالقابض على الجمر لصبره على الذل والفاقة وإقامة الدين والسنة "(١).

فالقائم على الحق والسنة يشابه حاله حال النبي ﷺ في الثبات على الحق وإظهار شعائر الدين عند فساد الأمة، يقول ابن الجوزي: " فأراد بإخوانه في آخر الزمان: القائمين بشرعه عند فساد الأمة، فقد شابهوه في ثلاثة أشياء: أحدها: أنه جاء على فترة من الرسل وقد تشبث حب الأصنام بالقلوب، وخيار أمته يظهر كل منهم في زمن قد يتشبث الهوى فيه بالنفوس فيسلكون سنن الاستقامة ويدعون الناس إلى الصلاح. والثاني: أنه ظهر غريبا وأظهر دينه، فكان غريبا، وكذلك صالحو المتأخرين يكونون غرباء ويظهرون ما قد صار غريبا، كما قال عليه السلام: « بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء» قيل: من الغرباء؟ قال: « الذين يصلحون إذا فسد الناس» والثالث: أنهم يظهرون في زمان خال عن نذير، فينفرد الواحد منهم عن معين، كما ظهر ﷺ وليس هذا حال صحابته مع وجوده، فإن الناس استغنوا به عنهم، فلم يصلحوا إخوانا لهذا المعنى وإن كانت مرتبتهم لا توازى"(٢).

وبسبب كثرة هذه الفتن وصف الله تعالى أهل الطاعة والإيمان، والصابرين على سنة سيد الأنام، بأنهم قليل وغرباء في مقابل أهل الضلال الذين هم كثيرون وغثاء. قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾(٣)، ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾(٤).

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، ط وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب١٣٨٧ هـ، ج ٢٠ ص ٢٥٢.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، ط دار الوطن – الرياض، بدون سنة النشر، ج ٣ ص ٤٤٨

(٣) سورة الأنعام: ١١٦.

(٤) سورة يوسف: ١٠٣.

ولكن الصابرين على الإيمان وإن كانوا في غربة ووحشة مع أهل زمانهم، إلا أنهم في أشدّ الرّاحة والطُّمأنينة في دينهم وقلوبهم وإيمانهم، لعلمهم يقيناً بأن هذه الدنيا الدنيّة الوحشة فيها في الابتعاد عن الله تعالى، والأنس الأعظم في القرب من المولى عز وجل وفي ذكره وعبادته ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾(١).

وإن أعظم السلامة هي سلامة الدين من الشبهات والشهوات، فعلى العبد أن يجاهد نفسه في الصبر على الدين والسنة، ولا يغرنه عن الحق قلة المتمسكين به؛ فالواجب على العبد أن يعتصم بالسنة ولو خالف جميع أهل الأرض.

يقول الفضل بن عياض: «الزمْ طُرقَ الهدَى، ولا يضرُّكَ قلّةُ السالكين، وإياك وطرقَ الضلالة، ولا تغترّ بكثرة الهالكين»(٢).

والنّاظر في أحوالنا وأهل زماننا يجد فيها أهل الطاعة والإخلاص في غربة جلية، وأهل الضلال والانحراف على أصنافهم قد ملئوا الآفاق بضلالهم وانحرافهم وفتنهم الكثيرة، التي يجب الحذر والتحذير منها، بل قد انقلبت كثير من المفاهيم، وتغيرت العادات والأعراف حتي كاد أن يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا، وهذا ما حذرنا منه النبي ﷺ فقال فيما يرويه عنه أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ مَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ؛ فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ»(٣).

إن من الفتن وانقلاب الموازين التي نعيشها ونشاهدها حتى أصبحنا في غربة، حين صار اتّباع الكتاب والسنة والاقتداء بهدي السلف الصالح، رجعية وتخلفا، وأصبح

---

(١) سورة الرعد: ٢٨.

(٢) الأذكار. أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، سنة ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، ص١٦٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه: باب: في الضعفاء والكذابين ومن يرغب عن حديثهم – حديث رقم ٦، ج١ ص ١٢.

السير على طرائق العلمانية[١]، والليبرالية[٢] هو التقدّم والتطور.

أصبح التحذير من دعاة الإلحاد وطرائقهم شبهاتهم مخالف للحرية، والدعوة إلى الكفر والسحر والشعوذة هي الحرية المطلوبة.

أصبحت الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، واللباس الشرعي، ودعوة المرأة إلى عفافها وحجابها، دعوة إلى التكفير والرجعية وإلي التخلف، وأصبحت الدعوة إلى التبرج والانحلال هي الحرية المرغوبة .

وعلى العبد المؤمن أن يعلم أنّه مبتلى في ذات الله – تعالى– خصوصاً حال الغربة، وأعظم الناس مكرا بأهل الحق أصحاب البدع والضلالات والاتجاهات الفكرية المنحرفة، فليحذرهم صاحب الحق على نفسه ودينه .

والمخلص صاحب السنّة في طريقه إلى الله تعالى يحتاج إلى ما يُسلّيه ويعينه

---

(١) العلمانية: أصل العلمانية واحد في اللغة العربية كما في اللغة الأجنبية ؛ في اللغة العربية لفظ (علمانية) مشتق من علَم بمعني: العالم، وفي اللغة الأجنبية مشتق من اللفظ اللاتيني saeculum أي العالم، وقد تتطور مصطلح (العلمانية) عن ما خارج إطار الكنيسة من الشؤون العامة إلى أسلوب ونمط في الحياة يحتقر كل قديم في العادات والأفكار والسخرية من التراث، والدفاع عن الإبداع والإصلاح الجرئ، ونقد النظام الاجتماعي، وتوقير ما هو طبيعي. المعجم الفلسفي: مراد وهبة، ط دار قباء الحديثة – القاهرة، ٢٠٠٧م، ص٤٣٣.

(٢) الليبرالية: iberalism وتعني (مذهب الحرية) ولها دلالات متعددة ؛ ففي السياسة تعني: مذهب في فلسفة السياسة يري وجوب استقلال السلطتين التشريعية والقضائية عن السلطة التنفيذية، ويقرر للمواطنين ضمانات تحميهم من تعسف الحكومات....، ومذهب الحرية بهذا المعني نقيض المذهب الاستبدادي، ومذهب الحرية كذلك: مذهب سياسي فلسفي يقرر حرية الاعتقاد والأري، وأنه ليس من الضروري أن يكون الناس على دين واحد كي ينصلح النظام الاجتماعي، ومذهب الحرية أخيرا مذهب فلسفي اقتصادي يقرر وجوب تخلي الدولة عن ممارسة النشاطات الصناعية والتجارية، و عن التدخل في العلاقات الاقتصادية بين الأفراد والطبقات أو الشعوب، ويسمي هذا المذهب بمذهب الحرية الاقتصادية، وهو نقيض مذهب رأسمالية الدولة ؛ حيث تسيطر الدولة على كل النشاط الاقتصادي، وهو أيضا نقيض النظام الاشتراكي الذي يقوم على السيطرة الاقتصادية للمجتمع. المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة: عبد المنعم الحنفي، ط مكتبة مدبولي – القاهرة، ثالثة ٢٠٠٠م، ص٧٧٤

ويصبّرُه على ما يصيبه من الفتنة والبلاء ولذلك وفقني الله لكتابة هذا البحث وفيه:

التمهيد وفيه التعريف بمفردات العنوان (الصبر – الثبات – السنة – اعتقاد السلف).

المبحث الأول: الابتلاء سنة من الله تعالى على عباده.

المبحث الثاني: فضل الصبر على البلاء.

المبحث الثالث: ذمّ التلون وعدم الثبات.

المبحث الرابع: نماذج من محن الأئمة وصبرهم على السنّة.

وأسأل الله تعالى أن يجعلني ومن يقرأ هذا البحث من الثابتين على سنة سيد المرسلين، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، وأسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم. إن ربي لسميع الدعاء.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهـــيد

وفيه التعريف بمفردات العنوان

أولا: التعريف بالصـــبر:

أصل مادة الصبر في اللغة حبس الشيء أو حبس النفس على الشيء، بمعني تثبيته أو الثبات عليه، جاء في جمهرة اللغة: " [صَبر] وَالصّبْر: ضد الْجزع.[وَالصّبْر] هَذَا الدّوَاء الْمَعْرُوف الْوَاحِدَة صبرَة. وَبِه سمي الرجل صبرَة. واشتريت الشّيْء صبرَة إِذا اشْتَرَيْته بِلَا كيل وَلَا وزن. وَقتل الصّبْر: أَن يحبس الرجل حَتَّى يقتل..."(١) .

وجاء في تهذيب اللغة: " وأصلُ الصّبر الحَبْس، وكلُّ من حَبَس شَيْئا فقد صبَره. ...، وَمِنْه يُقَال للرجل يقدّم فتُضرَب عُنقه: قُتِل صبرا، يَعْني أنّه أُمْسِك على الْمَوْت، وَكَذَلِكَ لَو حَبَس رجلٌ نفسَه على شَيْء يُريدهُ قَالَ: صبرتُ نَفسِي..."(٢).

وجاء في الكليات:" الصّبْر: الْحَبْس صَبَر عَنهُ يصبره: حَبسه ؛وَالصّبْر فِي الْمُصِيبَة: وَأما فِي الْمُحَارَبَة فَهُوَ شجاعة، وَفِي إمْسَاك النّفس عَن الفضول قناعة وعفة، وَفِي إمْسَاك كَلَام الضّمِير كتمان، فاختلاف الْأَسَامِي باخْتِلَاف المواقع، والصبرة بِالضَّمِّ: مَا جمع من الطّعَام بِلَا كيل وَلَا وزن، والصبور: هُوَ الّذِي لَا يُعَاقب الْمُسِيء مَعَ الْقُدْرَة عَلَيْهِ، وَكَذَا الْحَلِيم.، وَشهر الصّبْر: شهر الصّوْم ﴿ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ﴾(٣): أَي: مَا أجرأهم أَو مَا أعملهم بِعَمَل أَهلهَا، واصطبر لِلْعِبَادَةِ: كَقَوْلِك للمحارب اصطبر

(١) جمهرة اللغة. أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط دار العلم للملايين – بيروت، أولي ١٩٨٧م، ج ١ ص ٣١٢ مادة (صَبَرَ).

(٢) تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق/ محمد عوض مرعب، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، أولي ٢٠٠١م، ج ١٢ ص ١٢٠ – ١٢١ أبواب الصاد والراء – مادة صَبَرَ.

(٣) سورة البقرة: ١٧٥.

لقرنك، أعظم الخطية صَبر البلية [كَمَا هُوَ الْمُسْتَعْمل فِي الْجَاهِلِيّة]"(١).

واستعملت مادة الصبر في الاصطلاح القرآني في معني مقارب للمعني اللغوي، "الصبر: الإمساك في ضيق، يقال: صبرت الدابة: حبستها بلا علف، وصبرت فلانا: خلفته خلفة لا خروج له منها، والصبر: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه، فالصبر لفظ عام، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير، ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة، ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر، ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتمانا، ويضاده المذل، وقد سمى الله تعالى كل ذلك صبرا، ونبه عليه بقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾"(٢).

والصبر في الاصطلاح الشرعي يدل على الثبات على الدين، والرضا بقضاء الله، وهو جماع فضائل كثيرة، قال علي بن أبي طالب ﷺ: " الصَّبْرُ عَلَى أَرْبَعِ شعْبٍ: عَلَى الشَّوْقِ، وَالشَّفَقِ، وَالزَّهَادَةِ، وَالتَّرَقُّبِ. فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ رَجَعَ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ. وَمَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا تَهَاوَنَ بِالْمُصِيبَاتِ. وَمَنِ ارْتَقَبَ الْمَوْتَ تَسَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ "(٣).

---

(١) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، ص ٥٦٠

(٢) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، ط دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، أولي ١٤١٢ه، ص ٤٧٤

(٣) الصبر والثواب عليه: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط دار ابن حزم، بيروت – لبنان، أولي ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م، ص٩.

ثانيا: التعريف بالثبات

أصل الثبات في اللغة يدل على القيام على الشيء وعدم التحول عنه، "ثَبَتَ فلانٌ بِالْمَكَانِ يَثْبُتُ ثُبُوتاً فَهُوَ ثَابِتٌ إِذا أَقَامَ بِهِ، وتَثَبَّت فِي رَأْيه وأَمْرِه إِذا لم يَعْجَل وتَأَنّى فِيهِ، واسْتَثْبَتَ فِي أمره إِذا شاوَرَ وفحص عَنهُ، وأُثْبِتَ فلانٌ فَهُوَ مُثْبَتٌ إِذا اشتَدّتْ بِهِ عِلّتُهُ وأَثْبَتَتْهُ جِراحهُ فَلم يَتَحَرّكْ، ورَجل ثَبْتٌ وثَبِيتٌ إِذا كَانَ شجاعاً وَقُوراً، وأُثْيِيتٌ اسْم مَوضِع، أَو جبل، ويُصَغّر ثابِتٌ من الْأَسْمَاء ثُبَيتاً، وَأما الثابِتُ إِذا أردتَ بِهِ نَعْتَ شَيْء فتصغيره ثُوَيْبِيتٌ....:"(١).

وقد استعمل في الاصطلاح القرآني بمثل جاء به في اللغة، جاء في المفردات: " الثبات ضد الزوال، يقال: ثبت يثبت ثباتا، قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ ﴾ [الأنفال/ ٤٥]، ورجل ثبت وثبيت في الحرب، وأثبته السقم، ويقال ذلك للموجود بالبصر أو البصيرة، فيقال: فلان ثابت عندي، ونبوة النبي ﷺ ثابتة، والإثبات والتثبيت تارة يقال بالفعل، فيقال لما يخرج من العدم إلى الوجود، نحو: أثبت الله كذا، وتارة لما يثبت بالحكم، فيقال: أثبت الحاكم على فلان كذا وثبته، وتارة لما يكون بالقول، سواء كان ذلك صدقا منه أو كذبا، فيقال: أثبت التوحيد وصدق النبوة، وفلان أثبت مع الله إلها آخر.."(٢).

والثبات في ميزان الشرع لا يكون إلا على الحق والعدل،" والثبات في منهج الله لا يكون إلا ثباتا على الحق والعدل، ولا يمكن أن يثبت في قلب المؤمن إيمان خالص بالله ومنهجه وإيمان بالباطل وأهله في آن واحد، وإن بدا أن ثمة من يلبس ثوب الإيمان ثم يعادي الحق ويناصر البغي والمنكر والعدوان، لا يكون إلا منافقا كشف الله عنه ستره "(٣).

---

(١) تهذيب اللغة: مرجع سابق، ج ١٤ ص ١٩٠ أبواب التاء والثاء – مادة (ثبت).

(٢) المفردات في غريب القرآن: مرجع سابق، ص ١٧١

(٣) دستور الأخلاق من وحي الكتاب والسنة: زهير آمدي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ، ص١٩٢.

ثالثا: التعريف بالسنة

السنة من (سَنّ)، " السُّنّة الطريقةُ المستقيمة المحمودة، ولَذلك قيل: فلانٌ من أهل السنّة، وسَننتُ لكمْ سُنّة فاتبعوها....السُنّة في الأَصْل: سُنّةُ الطّريق. وَهُوَ طريقٌ سنه أَوَائِل النّاس فَصَارَ مَسلَكاً لمَن بعدَهم. وسَنّ فلانٌ طَرِيقا من الْخَيْر يَسُنّه: إذا ابْتَدَأَ أمرا من البرّ لم يَعرِفه قَومُه، فاستَنُّوا به وسلَكُوه وَهُوَ يَسْتنُّ الطّريقَ سَنّاً وسنَناً؛ فالسّنُّ المصدَر، والسَنَنُ: الِاسْم بِمَعْنى المسنُون[1].

وقد استعملت (السنة) في الاصطلاح الشرعي للدلالة على ما أُثر عن الرسول ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات وصفات خُلقية أو خِلقية، وتعددت الزوايا التي تُعرّف بها السنة تبعا للحقل المعرفي الذي تعرف في نطاقه؛ فمثلا عرفها الفقهاء والأصوليون بأنها: " قول النبي ﷺ غير القرآن ولو بكتابةٍ، وفعلُه ولو بإشارةٍ. وزِيد: الهمُّ، وإقرارُه"[2]، بينما يتسع مفهومها عند المحدثين ليشمل كل ما أُثر عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو حكاية أو حال، وبالجملة كل ما يتعلق بالنبي ﷺ، " وقد شرف الله الحديث وفضل أهله، وأعلى منزلته، وحكمه على كل نحلة، وقدمه على كل علم، ورفع من ذكر من حمله وعني به، فهم بيضة الدين ومنار الحجة، وكيف لا يستوجبون الفضيلة، ولا يستحقون الرتبة الرفيعة، وهم الذين حفظوا على الأمة هذا الدين، وأخبروا عن أنباء التنزيل، وأثبتوا ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وما عظمه الله عز وجل به من شأن الرسول ﷺ، فنقلوا شرائعه، ودونوا مشاهده، وصنفوا أعلامه ودلائله، وحققوا مناقب عترته، ومآثر آبائه وعشيرته، وجاؤوا بسير الأنبياء، ومقامات الأولياء، وأخبار الشهداء والصديقين، وعبروا عن جميع فعل النبي ﷺ، في سفره وحضره، وظعنه وإقامته، وسائر أحواله، من منام ويقظة، وإشارة وتصريح، وصمت ونطق،

---

(١) تهذيب اللغة: مرجع سابق، ج١٢ ص ٢١٠

(٢) تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي، تقريظ: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، تحقيق: عبد الله هاشم، د. هشام العربي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، أولي ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م، ص ١٣٦.

ونهوض وقعود، ومأكل ومشرب وملبس ومركب، وما كان سبيله في حال الرضا والسخط، والإنكار والقبول، حتى القلامة من ظفره، ما كان يصنع بها، والنخاعة من فيه أين كانت وجهتها، وما كان يقوله عند كل فعل يحدثه ويفعله عند كل موقف ومشهد يشهده، تعظيما له ﷺ، ومعرفة بأقدار ما ذكر عنه وأسند إليه.."(١).

فوظيفة السنة بيان القرآن وبيان معالم الدين عبر بيان ما يجب على المسلم اعتقاده في الألوهيات والنبوات والسمعيات بإخبار الصادق ﷺ، والتطبيق العملي للإسلام وشرائعه في سلوكه ﷺ، "وسنة رسول الله مُبَيِّنَة عن الله معنى ما أراد، دليلاً على خاصِّه وعامِّه، ثم قرن الحكمة بها بكتابه، فاتبعها إياه، ولم يجعل هذا لأحد من خلقه غير رسوله..."(٢).

فالسنة في باب الاعتقاد هي ما جاء به الإسلام من عقائد سالمة عن أدران الشبهات، " ثم صار في عرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم السنة عبارة عما سَلِمَ من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة، وصنفوا في هذا العلم باسم السنة لأن خطره عظيم والمخالف فيه على شفا هلكة" (٣).

رابعا: التعريف باعتقاد السلف

الحقيقة أن اعتقاد السلف يعبِّر عن الصورة الأولي التي كان عليها الاعتقاد

---

(١) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي، تحقيق/ محمد عجاج الخطيب، ط دار الفكر – بيروت، ثالثة ١٤٠٤ه، ص ١

(٢) الرسالة: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، تحقيق/ أحمد شاكر، ط مكتبة الحلبي، مصر أولي ١٣٥٨ه ١٩٤٠م، ج ١ ص ٧٣ .

(٣) كشف الكربة في وصف أهل الغربة: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني ط الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط ثانية ١٤٢٤ه – ٢٠٠٣م، ص ٣٢٠

الإسلامي في الألوهية والنبوة والمعاد؛ من حيث الإيمان جملة بكل ما ورد في القرآن والسنة مما يجب اعتقاده قبل نشأة الفرق المنتسبة للإسلام. وهو ما عبّر عنه الإمامُ أحمدُ، بقوله: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة وترك الخصومات في الدين والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء إنما هو الإتباع وترك الهوى ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها الإيمان بالقدر خيره وشره والتصديق بالأحاديث فيه والإيمان بها لا يقال لم ولا كيف إنما هو التصديق والإيمان بها ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأحكم له فعليه الإيمان به والتسليم مثل حديث الصادق المصدوق ومثل ما كان مثله في القدر ومثل أحاديث الرؤية كلها وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع وإنما عليه الإيمان بها وأن لا يرد منها حرفا واحد وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات وأن لا يخاصم أحدا ولا يناظره ولا يتعلم الجدال فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه ومنهي عنه لا يكون صاحبه وإن أصاب بكلامه السنة من أهل السنة حتى يدع الجدال ويؤمن بالآثار.."[1].

(١) أصول السنة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، دار المنار – الخرج – السعودية، أولي ١٤١١ه، ص ١٤: ٢١

المبحث الأول
الابتلاء سنة من الله على عباده

لما خلق الله الخلق لعبادته وحده لا شريك له، جعل علامات بها يُعرف الصادق في طاعته من الكاذب المتخاذل عن عبادته، ومن العلامات الفارقات: الصبر على ما يصيب المؤمن في الطريق إلى الله تعالى من الابتلاءات، فإذا صبر نجى وفاز وارتفعت له الدرجات، وإن تزعزع وانهزم وانكسر أمام البلاء ضعف إيمانه، وهكذا حتى يزيغ مع الزائغين ويهلك مع الهالكين، نسأله تعالى السلامة في الدارين.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ ﴾ قبل أن تُبتَلُوا وتختبروا وتمتحنوا، كما فعل بالذين من قبلكم من الأمم؛ ولهذا قال: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ ﴾، وهي: الأمراض؛ والأسقام، والآلام، والمصائب والنوائب...، ﴿ وَزُلْزِلُواْ ﴾خَوْفًا من الأعداء زلْزالا شديداً، وامتحنوا امتحانًا عظيماً"[2]؛ فالصبر على البلاء طريق الجنة وسبيل السعداء، يقول الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3].

والابتلاء سنة من سنن الله تعالى في كونه، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً

---

(١) سورة البقرة: ٢١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي تحقيق/ سامي بن محمد سلامة، ط دار طيبة للنشر والتوزيع، ثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م، ج ١ ص ٢٥٢

(٣) سورة آل عمران: ١٤٢.

وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[1]، والمقصود بالوليجة: بطانة ودخيلة بل هم في الظاهر والباطن على النصح لله ولرسوله ﷺ، فاكتفى بالباطن عن الظاهر[2]، فأهل الإيمان ثابتون على إيمانهم وسنة نبيهم ﷺ، وطريق سلفهم الصالح ظاهراً وباطناً. قال ابن كثير: (والحاصل أنه تعالى لما شرع الجهاد لعباده، بين أن له فيه حكمة، وهو اختبار عبيده: من يطيعه ممن يعصيه، وهو تعالى العالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون؟ فيعلم الشيء قبل كونه، ومع كونه على ما هو عليه، لا إله إلا هو، ولا رب سواه، ولا راد لما قدره وأمضاه)[3].

وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾[4]، فهذا استفهام استنكاري، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يبتلي عباده المؤمنين بحسب ما عندهم من الإيمان[5]، ويخف البلاء على المؤمن إذا علم أن هذا الأمر عام على النّاس كما في الآية بل لا يسلم منه الأنبياء ولا الأولياء الأتقياء، كما قال ﷺ: « إنّ مِن أشَدِّ الناس بلاَءً الأَنبِيَاءَ، ثمّ الّذِينَ يلُونَهُمْ، ثمّ الّذِينَ يلُونَهُمْ، ثمّ الّذِينَ يلُونَهُمْ »[6].

---

(١) سورة التوبة: ١٦.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٣٤١/٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٣٤١/٢).

(٤) سورة العنكبوت: ١-٣.

(٥) تفسير ابن كثير (٤٠٥/٣).

(٦) رواه أحمد (٣٦٩/٦) وصححه الحاكم في المستدرك (٥/ ٥٧٨) كتاب الطب – باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم – حديث رقم (٣٤٠٦)، وأخرجه بمعناه وزاد عليه أيضا في كتاب الإيمان – باب أشد الناس بلاء الأنبياء ثم العلماء ثم الصالحون ونصه: " دثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، عن الربيع بن سليمان المرادي، وبحر بن نصر بن سابق الخولاني قال الربيع: حدثنا، وقال بحر: أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، أن أبا سعيد الخدري، دخل على رسول الله ﷺ وهو موعوك، عليه قطيفة، فوضع يده عليها فوجد حرارتها فوق القطيفة، فقال أبو سعيد: ما أشد حر حماك يا رسول الله ؟، فقال رسول الله ﷺ: إنا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا

فبالابتلاء يتميز المؤمن من المنافق، والسني من المبتدع، والثابت من المتزعزع، كما قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ (١)، قال ابن كثير: (أي: لا بُد أن يعقد سببا من المحنة، يظهر فيه وليه، ويفضح به عدوه، يُعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر)(٢).

بل إنّ العبد إذا كان سائرًا في درب الدعوة إلى الله تعالى، ورافعًا لواء السنة والذب عنها، رادًّا على أهل الأهواء والبدع، عظُم عليه البلاء، اختبارًا وامتحانًا، وإبقاءً لذكره الحسن في الدنيا، ورفعًا لدرجاته في الآخرة.

وفي حديث بدء الوحي على رسول الله ﷺ قال له ورقة بن نوفل: «يا لَيْتَني فيها جذعًا، لَيْتَني أكُونُ حيًّا إذْ يُخْرِجُكَ قومُكَ». فقال رسول اللّه ﷺ: «أو مخرجي همْ؟» قال: «نعم، لم يأْتِ رجُلٌ قطُّ بمِثْلِ ما جئْتَ بهِ إلا عُودِيَ، وَإنْ يُدْرِكْنِي يوْمُكَ أنْصرُكَ نصْرًا مُؤزّرًا» (٣).

فعلى السائر في دعوته علي منهج السلف الصالح أن يعلم أنّه سيبتلى، وأن عليه أن يوطن نفسه على الصبر والثبات، كما قال الراهب للغلام: «أيْ بُنيّ أنت الْيوْمَ أفْضَلُ منّي، قد بلَغَ من أمْرِكَ ما أرَى، وإنّك ستُبْتَلَى»(٤).

وكلما عظمت مكانة العبد عند الله، وأراد الله رفع درجته ابتلاه، عن أنس رضي الله عنه

الأجر " ثم قال: يا رسول الله، من أشد الناس بلاء ؟ قال: " الأنبياء " قال: ثم من؟ قال: "العلماء" قال: ثم من ؟ قال: " ثم الصالحون كان أحدهم يبتلى بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها، ويبتلى بالقمل حتى تقتله، ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء. " وقال الحاكم هذا حديث على شرط مسلم (١/ ٢٠٤).

(١) سورة آل عمران: ١٧٩.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٣٣/١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي – باب بدء الوحي (١/ ٤) حديث رقم (٣).

(٤) رواه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق – باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام حديث رقم (٣٠٠٥).(٤/ ٢٣٠٠).

عن النبي ﷺ: «إنّ عظَمَ الجَزَاءِ مع عظَمِ البَلَاءِ، وَإنّ اللّهَ إذا أحَبّ قَوماً ابْتَلَاهمْ، فمَنْ رضى فلَهُ الرّضَا، ومَنْ سَخطَ فلَهُ السّخَطُ»(١).

فطريق الدعوة محاط بالابتلاءات؛" فلو سلم أحد من الأذى لسلم رسل الله عليهم الصلاة والسلام وعلى رأسهم إمامهم محمد بن عبد الله عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام فقد أُوذوا فصبروا، وجاهدوا حتى نصرهم الله على أعداء الدعوة إلى الله تعالى، ولاشك أن كل داعية مخلص يصيبه الأذى، وإن سلم أحد فذلك من أندر النوادر."(٢)

وقد ورد عن السلف جملة من الآثار، في بيان أنّ العبد مبتلى في طريقه إلى الله تعالى، وبيان الحكمة من الابتلاء، ومنزلة المبتلى عند الله تعالى. فعن عمر بن عبدالعزيز: "ما أغبط أحداً لم يُصبْه في هذا الأمر بلاء"(٣)، وقال مسروق: "ودّ أهل البلاء يوم القيامة حين يرون الثواب أن جلودهم قرضت بالمقاريض"(٤)، وهذا البلاء الذي يصيب الأنبياء ينبغي أن يتهيأ له أهل العلم وأتباع الرسول ﷺ بالصبر والرضى، يقول العلامة أبو شامة: "وينبغي لمن نظمه الله سبحانه في سلك العلماء أن يعرف قدر نعمته عليه، فقد قربه من درجة النبوة بما أسداه إليه، فلا يحزن لما يفوته من أمر الدنيا، فما آتاه الله خير مما أوتي أهلها، ولا يتبرم بما ينزل به من مصائبها فإن ذلك

(١) الجامع الكبير – سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، ط دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩٨م، باب ما جاء في الصبر على البلاء (١٧٩/٤)، حديث رقم (٢٣٩٦) وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

(٢) مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة – مفهوم، ونظر، وتطبيق: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط مطبعة سفير، الرياض بدون تاريخ، ص ١٧٩ – ١٨٠.

(٣) المحن: محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، أبو العرب، تحقيق/ د عمر سليمان العقيلي، ط دار العلوم – الرياض – السعودية، أولي، ١٤٠٤ه – ١٩٨٤م، ص٢٨٣.

(٤) المرجع السابق، ص٢٨٤.

من علامات قبوله ولحوقه بسلفه"[١].

هذه العداوة والكيد من أهل الباطل بشتى أصنافهم، من ملاحدة وزنادقة وأهل كفر وملل ونفاق، ومن أهل ضلال وابتداع وأهواء، هو نوع من أنواع البلاء الذي يصيب أهل السنة، كما أصاب الأنبياء قبلهم من مخالفيهم من أهل الكفر والعناد، فأهل العلم اجتهدوا في نصح الناس وتوجيههم إلى الخير والهدى، وأهل الضلال لا يريدون الخير ولا السنة لأن فيه افتضاح أمرهم وبيان زيغهم وضلالهم، لذلك عكفوا على كيد أهل السنة، بشتى طرق الكيد والمكر، لإطفاء نور السنة والحق، وإشعال نيران الفتنة والهوى والضلال.

يقول الإمام أحمد: "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين"[٢]

وأشار الله تعالى في كتابه إلى المكر والكيد عند أهل البدع تجاه علماء السنة خصوصاً من يكون منهم رأساً في السنة وداعية إليها، ورادً على أهل الأهواء والبدع،

---

(١) خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، قرأه وعلق عليه: جمال عزون، ط أضواء السلف بدون بيانات دار النشر، أولي ١٤٢٤ه – ٢٠٠٣م، ص٩٢.

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق/ صبري بن سلامة شاهين، ط دار الثبات للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ، ص٦.

قال سبحانه: ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾(١).

قال الإمام الشوكاني (٢) : "وهكذا ترى أهل البدع المضلة، إذا سمع الواحد منهم ما يتلوه العالم عليهم من آيات الكتاب العزيز أو من السنة الصحيحة مخالفاً لما اعتقده من الباطل والضلالة؛ رأيت في وجهه من المنكر ما لو تمكن من أن يسطو بذلك العالم لفعل به ما لا يفعله بالمشركين، وقد رأينا وسمعنا من أهل البدع ما لا يحيط به الوصف، والله ناصر الحق، ومظهر الدين، وداحض الباطل، ودامغ البدع، وحافظ المتكلمين بما أخذه عليهم، المبينين للناس ما نزل إليهم، وهو حسبنا ونعم الوكيل"(٣).

وقد سلك أهل البدع والضلال ضدّ أهل السنة وعلماء الملّة كل سبيل ممكن للنيل منهم، فهم لا يرقبون في صاحب السنّة إلاً ولا ذمّة، فقد وصل الأمر إلى تدبير قتلهم، أو نفيهم أو سجنهم أو تعذيبهم، أو إيقاع الضرر عليهم بأي نوع من الضرر يستطيعونه. يقول أبو العرب(٤) "وأنا أذكر بعد هذا من ابتلى من خيار هذه الأمة وأهل العلم وأشراف

---

(١) سورة الحج: ٧٢.

(٢) الشوكاني (١٢٢٩ – ١٢٨١ هـ = ١٨١٤ – ١٨٦٤ م) أحمد بن محمد بن علي الشوكاني: قاض، من فضلاء اليمانيين، من أهل صنعاء وهو ابن العلامة (الشوكاني) الكبير. نصب للقضاء في صنعاء زمنا. وأصابته محن في أيام الناصر (عبد الله بن الحسن) وأيام الإمام أحمد بن هاشم، فسجن في عهد الاول، وفر من صنعاء في عهد الثاني، فطاف متنقلا في بعض الاطراف، ثم استقر في (الروضة) يحكم وينفذ الشريعة وهو لم يول ذلك فكان علماء اليمن يسمونه (قاضي أرحم الراحمين) ! وتوفي فيها. من كتبه (كشف الريبة في الزجر عن الغيبة) الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ط دار العلم للملايين، الخامسة عشر ٢٠٠٢ م (١/ ٢٤٦ – ٢٤٧)

(٣) فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، أولي ١٤١٤ه، (٤٦٨/٣).

(٤) أبو العرب: العلامة المفتي، ذو الفنون، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام، المغربي، الإفريقي .كان جده من أمراء إفريقية. سمع أبو العرب من خلق كثير أصحاب سحنون وغيره، وصنف التصانيف .وروى عن: عيسى بن مسكين، وأبي عثمان بن الحداد . وكان –فيما قال القاضي عياض- : حافظا للمذهب، مفتيا، غلب عليه علم الحديث والرجال، وصنف " طبقات أهل إفريقية وكتاب " المحن "، وكتاب" فضائل مالك" ، وكتاب " مناقب سحنون" ، وكتاب " التاريخ " في أحد عشر جزءا . وقيل: إنه كتب بيده

الناس بأن حبس أو ضرب أو تهدد أو امتحن؛ ليكون ذلك عزاء لمن ابتلي بمثل ما ابتلي الصالحون من صدر هذه الأمة، وأذكر كل رجل من ضرب منهم، ومن ضربه، وكيف كان سبب ضربه، ومن حبس، وكيف كان حبسه، ومن نفته ولاة الجور منهم، ومن توارى منهم، ومن مات متوارياً، وما أشبه ذلك من أمورهم" (١).

وعيب أهل السنة وذمّهم بالباطل والكذب عليهم هو من أبرز علامات أهل البدع، بل هو عادة من عاداتهم ضد الحق وأهله، ومن مكائدهم: كذبهم على أهل السنة، وتزوير الأقوال عليهم، ونسبة الباطل لهم، وتلفيق التهم الجائرة، وإلصاق المعايب بهم، علّهم بذلك ينفِّرون النّاس عن السنة وعن أهل السنة، وهذا من خبثهم ومكائدهم الكاسدة التي لا تخدع أهل القلوب السليمة والألباب الرشيدة، فكم وكم كذبوا على العلماء المتقدمين والمتأخرين، ولا زالوا يكذبون ويفجرون في الخصومة، وهذه عادتهم لكونهم أفلسوا من الحجة، فما لهم غير اتباع إبليس في كذبهم وتزويرهم، وأهل البدع والأهواء يكذبون على العلماء لأغراض كثيرة، ومنها:

أولاً: من باب تشويه المنهج والدين الصحيح الذي يحملونه ويبلغونه للناس، فلا حجة لهم سوى الكذب على أهل السنة لصدّ الناس عن الحق.

وثانياً: من باب تحسين باطلهم بنسبة بعض أهل العلم إليهم، وأنهم من القائلين بأقوالهم ومن المعتقدين بمعتقداتهم الباطلة.

ولو تدبرنا التاريخ الأسود لأهل البدع عبر العصور لوجدنا هذه الخصلة القبيحة

ثلاثة آلاف كتاب . وأول طلبه للعلم كان بزي أولاد العرب . وكان أحد من عقد الخروج على بني عبيد في ثورة أبي يزيد عليهم . ولما حاصروا المهدية سمع الناس على أبي العرب هناك كتابي " الإمامة " لمحمد بن سحنون، فقال أبو العرب: كتبت بيدي ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب، فوالله لقراءة هذين الكتابين هنا أفضل عندي من جميع ما كتبت . مات لثمان بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وصلى عليه ابنه. سير أعلام النبلاء : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، (١٥/ ٣٩٥)

(١) المحن: مرجع سابق، ص٢٨٧.

ملازمة لهم لا تنفك عنهم، فما من إمام من أئمة السنة له طَول في مجاهدة أهل البدع وفضح عوارهم وهتك أستارهم، إلا قابلوه بهذه الأكاذيب، ولفّقوا له من التهم ما تنبوا عنها الأسماع، لكن الله فاضحهم وكاشف افتراءهم، كيف لا!! وهم تجرأوا على الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ بإضافة البدع إلى الدين، وشرعوا ما لم ينزل به سلطاناً، فكيف لا يكذبون على العلماء وحملة الشريعة والدين.

ومن مكائدهم كذلك: تأليب السلطان على أهل السنة وعلماءهم، وتشويه صورتهم لديهم، وإظهارهم بمظهر الخارج على الولاة، الداعي إلى الفتنة ونزع يد الطاعة، وأمثلة ذلك لمن نظر في سيرة العلماء في القديم والحديث كثيرة جداً، كتحريش السلاطين على أئمة الإسلام في محنة خلق القرآن كما سنري في محنة الإمام أحمد بسبب تأليب المعتزلة لخلفاء بني العباس بأهل السنة، وكلّ ذلك سببه ضعف الحجة، وعدم قدرتهم على مقارعة أهل السنة بالدليل والبرهان.

مما سبق يتضح أن الابتلاء سنة الله في عباده، وقد ابتلي عباده الساعين في نشر دينه والدعوة إلى توحيده من الأنبياء فمن تلاهم بالأذى والصدود والتكذيب والسعي في التنكيل بهم وصد الناس عن دعوتهم، والسعي في قتلهم، وتأليب أهل السلطان عليهم، كل ذلك ليظهر فضيلتهم، ويزيد في أجورهم، ويمحص صبرهم، وتفانيهم في خدمة الحق والذود عنه.

المبحث الثاني
فضل الصبر على البلاء

سبق التقرير بأن الابتلاء سنة الله في خلقه؛ والواجب على العبد إزاء هذه السنة الكونية أن يصبر ويجتهد في السعي في تحصيل أسباب الثبات والنجاة، خاصة إذا تعرض للابتلاء في دينه والاختبار في عقيدته، فيثبت العبد المؤمن على دينه، ويعتصم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولا يمنعه خوف النّاس عن قول كلمة الحق، فإن هذا من الجهاد في سبيل الله تعالى، فعن أَبِي سَعِيْدٍ ﷺ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: «أَلا لا يَمنَعَنّ رجُلًا هَيبَةُ الناس أَنْ يقُولَ بِحقٍّ إذا علِمَهُ»، فَبَكَى أبو سَعِيدٍ ﷺ وقال: قد والله رَأَيْنَا أَشْيَاءَ فَهِبْنَا(١).

وقول كلمة الحق والصبر على ما يلقاه العبد من الأذى دليل على صدق العبد وإخلاصه لله تعالى، "الصدع بالحق عظيم يحتاج إلى قوة واخلاص فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به والقوي بلا اخلاص يخذل فمن قام بهما كاملا فهو صديق ومن ضعف فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب ليس وراء ذلك ايمان فلا قوة الا بالله"(٢).

فصبر الدعاة إلى الحق ينبغي أن يكون أعلي درجات الصبر، يقول الهروي في بيان أعلى درجات الصبر: " وأضعف الصّبْر الصّبْر لله وَهُوَ صَبر الْعَامّة، وفوقه الصّبْر لله وَهُوَ صَبر المريد، وفوقهما الصّبْر على الله وَهُوَ صَبر السالك." (٣)

وقد اشتكى الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله ﷺ ما يلقونه من الأذى، فذكرهم بعظم ابتلاء من سبقهم من أهل الإيمان، وبَشّرهم بظهور أمرهم ودينهم إن هم

---

(١) رواه الترمذي في سننه – بَابُ مَا جَاءَ مَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ (٥٣/٤) حديث رقم (٢١٩١) وقال وهذا حديث حسن .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، مرجع سابق، (٢٣٤/١١).

(٣) منازل السائرين: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، ط دار الكتب العلمية – بيروت – بدون تاريخ، ص ٥٠ – ٥١

صبروا على الحق والإسلام والسنة؛ فعن خَبَّاب بن الْأَرَتّ ﷺ قال: شَكَوْنَا إلى رسول اللّه ﷺ وهو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً له في ظِلّ الْكَعْبَةِ، قُلْنَا له: ألا تَسْتَنْصِرُ لنا، ألا تَدْعُو اللّهَ لنا، قال: «كان الرّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ له في الأرض، فَيُجْعَلُ فيه، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ على رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وما يَصُدُّهُ ذلك عن دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، ما دُونَ لَحْمِهِ من عَظْمٍ أو عَصَبٍ، وما يَصُدُّهُ ذلك عن دِينِهِ، واللّه لَيُتِمَّنّ هذا الْأَمْرَ حتى يَسِيرَ الرّاكِبُ من صَنْعَاءَ إلى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إلا اللّهَ أو الذِّئْبَ على غَنَمِهِ، وَلَكِنّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[(١)].

وها هي وصايا السلف الصالح بالصبر على السنة ولزومها، وأن الأمر في الصبر على السنّة يحتاج إلى مجاهدة وثبات، والتجاء برب الأرض والسموات؛ فعن الحسن البصري، قال: (السنة – والذى لا إله إلا هو– بين الغالي والجافي؛ فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقلها فيما بقي: الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك إن شاء الله فكونوا)[(٢)].

وقال الإمام الأوزاعي[(٣)]: (اصبر على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكف عما كفوا، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم)[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه– كتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام (٤/ ٢٠١) (٣٤١٦).

(٢) سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، ط دار الكتاب العربي – بيروت، أولى، ١٤٠٧ه، (٨٣/١).

(٣) شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي كان يسكن بمحلة الأوزاع، وهي العقيبة الصغيرة، ظاهر باب الفراديس (١) بدمشق، ثم تحول إلى بيروت مرابطا بها إلى أن مات. تراجع ترجمته وافية سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧ وما بعدها)

(٤) تاريخ دمشق: أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر – بيروت أولى ١٤١٩ – هـ – ١٩٩٨ م، (٢٠٠/٣٥).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلاّم: (المتبع للسنة كالقابض على الجمر، وهو اليوم عندي أفضل من الضرب بالسيوف في سبيل الله)(١).

وقد جعل الله سبحانه وتعالى للإمامة في هذا الدين شرطين أساسيين، وهما: الصبر واليقين، فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(٢)، وقد جمع الله بينهما في أكثر من آية، ممّا يدل على أنّ العبد لا ينجو من البلاء ويثبت على الحق والسنة إلا باجتماعهما بقلب العبد ورسوخه فيهما، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾(٣)، وقال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾(٤)، فتواصوا بالحق وهو اليقين الذي يدفع به الشبهات، وبالصبر الذي يكف عن الشهوات،" ومعنى تواصوا أي تحاثوا أوصى بعضهم بعضاً وحث بعضهم بعضاً بالحق أي بالتوحيد وكذا روى الضحاك عن ابن عباس رَضِيَ اللّهُ عَنْهما وقال قتادة بالحق أي بالقرآن وقال السدي الحق هنا الله تعالى وتواصوا بالصبر على طاعة الله والصبر عن المعاصي."(٥)

فالداعية إلى الله لابد أن يكون في دعوته جامعاً بين الأمرين، صابراً محتسبا، على ثبات ويقين، قال ابن الجوزي: " قال زهير بن نعيم: عن هذا الأمر لا يتم إلا بشيئين: الصبر واليقين، فإن كان يقين ولم يكن معه صبر لم يتم، وإن كان صبر ولم يكن معه يقين لم يتم، وقد ضرب لهما أبو الدرداء مثلاً فقال: مثل اليقين والصبر مثل

---

(١) تاريخ دمشق: مرجع سابق، (٧٩/٤٩).

(٢) سورة السجدة:٢٤.

(٣) سورة الروم: ٦٠.

(٤) سورة العصر: ٣.

(٥) اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود – علي محمد معوض، ط دار الكتب العلمية – بيروت أولي ١٤١٩ه – ١٩٩٨م، (٢٠/ ٤٨٧)

فدادين يحفران الأرض فإذا جلس واحد جلس الآخر."[١]، والصبر دون الاستعانة بالله لا شيء،" والصبر منصور أبداً، فإن كان صاحبه محقاً كان منصوراً له العاقبة، وإن كان مبطلاً لم يكن له عاقبة. وإذا قام العبد في الحق لله، ولكن قام بنفسه وقوته ولم يقم بالله مستعيناً به متوكلاً عليه مفوضاً إليه، بريئاً من الحول والقوة إلا به، فله من الخذلان وضعف النصرة بحسب ما قام به من ذلك. فتجريد التوحيد، وصدق اليقين، وكمال الصبر، إذا مَنّ الله بها على عبده فلا يقوم له شيء البتة، وهو مؤيد منصور ولو توالت عليه زمر الأعداء؛ لأن الله معه، وقد تكفل بنصره، والتمكين له، ومن قام لله حتى أوذي في الله فعليه الصبر ولا ينبغي له الانتقام"[٢]

فدفع الشبهات والشهوات هو من أعظم الجهاد في سبيل الله تعالى، والحفاظ على القلب خاليا عن الشهوات والشبهات وجميع أصناف الفتن واجب خاصة على من يقوم بالدعوة إلى الله، يقول ابن الجوزي: " اعلم أن القلب في أصل الوضع سليم من كل آفة والحواس الخمس توصل إليه الأخبار فترقم في صفحته، فينبغي أن يستوثق من سد الطرق التي يخشى عليه منها الفتن فإنه إذا اشتغل بشيء منها أعرض عما خلق له من التعظيم للخالق والفكر في المصالح، ورب فتنة علق به شباها فكانت سببا في هلاكه.."[٣]

وقيل شعرا:

كم أضلت مني عقولاً وكم أو جب نقصاً لفاضل إعجابـــــــــه

(١) صفة الصفوة: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: أحمد بن علي، ط دار الحديث، القاهرة، مصر ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م، (٢/ ٢٢٩)

(٢) موسوعة فقه القلوب: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، ط بيت الأفكار الدولية، بدون بيانات، (٣/ ٢٥٧٥– ٢٥٧٦

(٣) ذم الهوي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق/ مصطفي عبد الواحد، مراجعة/ محمد الغزالي، بدون بيانات دار النشر، ص ٦٣

وأحال الهــوى حقائق حتى صار عذاباً لذي الغرام عذابه[١]

فالشبهات والشهوات هما سبب التلبيس الذي يوقع الشيطان فيه العبد، ولذلك ينبغي على العبد ألا يقع في الغفلة ويتمسك بأهداب الحق والصبر حتي يحفظ نفسه وهمته من الغرور أو الفتور، يقول ابن الجوزي أيضا: " التلبيس: إظهار الباطل في صورة الحق، والغرور: نوع جهل يوجب اعتقاد الفاسد صحيحا والردئ جيدا، وسببه وجود شبهة أوجبت ذلك، وإنما يدخل إبليس على الناس بقدر ما يمكنه؛ ويزيد تمكنه منهم ويقل على مقدار يقظتهم وغفلتهم؛ وجهلهم وعلمهم . واعلم أن القلب كالحصن؛ وعلى ذلك الحصن سور، وللسور أبواب ؛وفيه ثلم وساكنه العقل، والملائكة تتردد إلى ذلك الحصن، وإلى جانبه ربض فيه الهوى والشياطين تختلف إلى ذلك الربض من غير مانع، والحرب قائم بين أهل الحصن وأهل الربض، والشياطين لا تزال تدور حول الحصن تطلب غفلة الحارس والعبور من بعض الثلم ؛فينبغي للحارس أن يعرف جميع أبواب الحصن الذي قد وكل بحفظه وجميع الثلم، وأن لا يفتر عن الحراسة لحظة فإن العدو ما يفتر.."[٢]

والسمة البارزة لأهل السنة، هي الثبات على الحق، ورسوخ القدم فيه، فلا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، فهم الطائفة المنصورة والفرقة الناجية إلى قيام الساعة، ولذلك لما سأل هرقل أبا سفيان بن حرب ﷺ عن أصحاب محمد ﷺ في المدة التي صالح فيها قريشًا: هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا،

(١) الصّبر مطيّة النجّاح قصيدة في الحِكَم: محمد بن أحمد بن عمر مجد الدين أبو عبد الله المعروف بابنِ الظّهِير الإِرَبْلي، جمعها وفسَر ألفاظها: الشيخ عبد القادر المبارك، قدّم لها وضبط نصها: مازن المبارك، ط دَارُ الفِكر، دمشق، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، ص ١١.

(٢) تلبيس إبليس: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، أولي ١٤٢١ه – ٢٠٠١م، ص ٣٦

قال: وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب(١).

فالصبر والثبات هو محك الهداية والضلال فمن ثبت وصبر التحق بمسيرة الصابرين، ومن خف صبره وزال ثباته التحق بعار الخاسرين، "فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوات، فإن ثبت حتى قهر الشهوة التحقق بالصابرين، وإن ضعف حتى غلبت الشهوة ولم يصبر على دفعها، التحق بأتباع الشياطين، وإذا ثبت أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة الهوى، فهذه المقاومة من خاصية الآدميين."(٢)

ومن أجل ذلك بيّن الله تعالى كتابة ثمرة الصبر والثبات، وأن العاقبة للمتقين، والخاتمة الحسنة لأهل الإيمان واليقين والثبات، وبقاء الذكر الحسن لهم دون غيرهم، وأن مآل البدع وأهلها الافتضاح والعاقبة السيئة في الدنيا والآخرة، ليكون ذلك البيان أدعي للثبات، والسعي في ترويض النفس على الصبر.

وفي ذلك يقول المولى جل في علاه: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾(٣).

وقال عز وجل: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٤).

وقال: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟

---

(١) رواه البخاري في صحيحه – كتاب تفسير القرآن – باب قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾(٦/ ٣٥) حديث رقم (٤٥٥٣).

(٢) مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينْ: نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، ط مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م، ص ٢٦٩

(٣) سورة الأعراف: ١٣٧.

(٤) سورة يوسف: ٩٠.

يَعْمَلُونَ ﴾(١).

وقال: ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾(٢).

وقال في ثواب أهل الإيمان: ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾(٣)، وقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴾(٤)، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٥).

وقد عُدّ الصبر والثبات عند الملمات من شعب الإيمان ؛لعِظَم مكانته من الدين، وتكاثر النصوص الشرعية من الكتاب والسنة على فضيلته(٦)، ولذلك كان من عادة الصالحين الصبر الجميل على البلاء، واليقين بالعافية والأجر، قال – تعالي – في وصف حال أهل الإيمان: " قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَ�ٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾(٧)، قال عمر بن الخطاب ﷺ: نعم العدلان ونعمت العلاوة."(٨)

---

(١) سورة النحل: ٩٦ .

(٢) سورة النحل: ١٢٧ – ١٢٨.

(٣) سورة المؤمنون: ١١١.

(٤) سورة الفرقان: ٧٥.

(٥) سورة الزمر: ١٠.

(٦) ينظر مختصر شعب الإيمان للبيهقي: عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد، إمام الدين، أبو القاسم الكرخي التميمي القزويني الشافعيّ، تحقيق/ عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير – دمشق، ثانية ١٤٠٥ه، ص ١٣١وما بعدها.

(٧) سورة البقرة ١٥٦– ١٥٧

(٨) تسلية أهل المصائب: محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ثانية ١٤٢٦ه – ٢٠٠٥م، ص٩

وقد بيّن أهل العلم أن من عودي من أهل السنة لأجل دينه وعلمه، فإن الله يرفع ذِكْره ويقطع ذِكْر عدوّه وعدوّ أهل السنّة، فمن عدّله رسول الله ﷺ من أهل العلم لا يضره كيد كائد، " وَمن عدله رَسُول الله ﷺ فَمَا أَن يُبَالِي بذم النّاس وَلَا بِمَا جرى عَلَيْهِ من باس، وَلَا يسؤوه لومة لائم وَلَا يشينه شتم شاتم وَلَا يضرّهُ هضم هاضم إِن شَاءَ الله وَله الْحَمد على مَا أنعم من قبل وَمن بعد..."(١)، وقال الحافظ الذهبي: (سنة الله في كل من ازدرى العلماء؛ بقي حقيراً)(٢).

فالله تعالى ناصر دينه ورافع الحق وأهله، وعلى العبد صاحب السنة الهمة أن يسعي يكون أداة هذا النصر، " لهذا العالم صفات وأحوال شتى، ومقامات لابد له من استعمالها، فهو مستعمل في كل حال ما يجب عليه....، قد أعد لكل حق يلزمه ما يقويه على لقيام به، وقد أعد لكل نازلة ما يسلم به من شرها في دينه، عالم بما يجتلب به الطاعات، عالم بما يدفع به البليات، قد اعتقد الأخلاق السنية، واعتزل الأخلاق الدنية.."(٣)

ولا نغفل المدد الإلهي والتأييد الرباني لكل من تصدي للدفاع عن الحق وأهله، فعلى العبد أن يلتجئ إلى الله تعالى بالدعاء بالثبات والإعانة على الطاعة والاستقامة عليها، وعليه بهذا الدعاء، عن ابن عبّاس- رضي الله عنهما- أنّه قال: كان رسول

---

(١) نشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن عبد الله، أبو حامد، جمال الدين الحبيشي الوَصَابي الشافعي، ط دار المنهاج – جدة، أولي ١٤١٧ه – ١٩٩٧م، ص ٤١.

(٢) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي تحقيق/ عمر عبد السلام التدمري، ط دار الكتاب العربي، بيروت، ثانية ١٤١٣ه – ١٩٩٣م، (١٣/ ٢٥٦)

(٣) أخلاق العلماء: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، قام بمراجعة أصوله وتصحيحه والتعليق عليه: إسماعيل بن محمد الأنصاري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية، بدون تاريخ، ٤٥- ٤٦.

الله ﷺ يدعو: «ربِّ أعنِّي ولا تعِنْ علَيَّ، وانْصُرْنِي ولا تنْصُرْ علَيَّ، وامْكُرْ لي ولا تَمْكرْ علَيَّ، وَاهْدنِي ويَسِّرْ هدَايَ إلي، وَانْصرنِي على من بغَى علَيَّ.....»[1].

(١) السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، أولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م(٩/ ٢٢٤باب الِاسْتِنْصَارُ عِنْدَ اللِّقَاءِ– حديث رقم (١٠٣٦٨) ورواه الحاكم في المستدرك كتاب الدعاء والتكبير والتهليل (١/ ٧٠١) حديث رقم ١٩١٠) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ "

المبحث الثالث

ذمّ التلون وعدم الثبات

إنّ من أعظم سمات أهل السنة والجماعة الثبات على الدين وعدم التلون بحسب الأهواء والمصالح والعقول، وذلك لأنّهم يقيمون دينهم واعتقادهم على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، لا يبتغون منفعة ولا يطمحون إلى شيء من منافع الدنيا ومتاعها الزائل، فهم يعبدون رباً واحداً، ويسلكون دربًا وحدًا، ويسيرون على منهج وعقيدة واحدة، فلا يجد التلوّن إليهم طريقًا، ولا التذبذب إليهم سبيلاً، لا يحيدون عن الحق ولا يميلون عنه.

لذلك أمر الله عز وجل عباده بطلب الاستقامة وسلوك صراطها، فقال: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾(١).

ولما كان الثبات من الله تعالى توجّه العباد إليه بطلب ذلك، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾(٢).

وأخبر الله أهل الإيمان بقصص الأولين ليثبت أهل الإيمان على إيمانهم، وأصحاب السنة على سنتهم، قال تعالى: ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(٣).

وقد ذمّ الله تعالى أهل التلوّن في الدين، والمتقلبين بحسب أهوائهم وآرائهم، فكل يوم على مذهب، وكل حين بدين ورأي غير ما كانوا يعتقدون، حتى أصبحوا كمن يعبد الله تعالى على الحافة، فأي فتنة جاءتهم أسقطتهم على وجوههم في هوّة الضلال، وودیان الهوى والانحراف، قال – تعالى–: "﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ

(١) سورة الفاتحة: ٦.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٧.

(٣) سورة هود: ١٢٠.

خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾"[1]

يقول الإمام البغوي[2]: " قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ ﴾ نزلت في قوم من الأعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم إذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت فرسه مهرا حسنا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمأن إليه، وإن أصابه مرض وولدت امرأته جارية وأجهضت فرسه وقل ماله قال: ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شرا فينقلب عن دينه، وذلك الفتنة، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ ﴾ أكثر المفسرين قالوا على شك وأصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي [القائم] عليه غير مستقر، فقيل للشاك في الدين: إنه يعبد الله على حرف لأنه على طرف وجانب من الدين لم يدخل فيه على الثبات والتمكن كالقائم على حرف الجبل مضطرب غير مستقر يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف لضعف قيامه، ولو عبدوا الله في الشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف، قال الحسن: هو المنافق يعبده بلسانه دون قلبه. فإن أصابه خير، صحة في جسمه وسعة في معيشته، اطمأن به، أي: رضي وسكن إليه، وإن أصابته فتنة، بلاء في جسده وضيق في معيشته، انقلب على وجهه، ارتد ورجع على عقبه إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر، خسر الدنيا، يعني هذا الشاك خسر الدنيا بفوات ما كان يؤمله، والآخرة،

---

(١) سورة الحج: ١١.

(٢) الشيخ الإمام، العلامة القدوة الحافظ، شيخ الإسلام، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر، صاحب التصانيف، ك " شرح السنة " و " معالم التنزيل " و " المصابيح " وكتاب " التهذيب " في المذهب و" الجمع بين الصحيحين "، و" الأربعين حديثا "، وأشياء. تراجع ترجمته وافية في كتاب/ سير أعلام النبلاء للذهبي، (١٩/ ٤٣٩ وما بعدها).

بذهاب الدين والخلود في النار"[1]

وقال تعالي: "﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[2]، " أي: ومن النّاس من هو ضعيف الإيمان، لم يدخل الإيمان قلبه، ولم تخالطه بشاشته، بل دخل فيه، إما خوفا، وإما عادة على وجه لا يثبت عند المحن"، فعلى العبد أن يكون ثابتا على دينه، ولا يكون كمن ذمّه الله من المذبذبين، قال تعالى: ﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰٓ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴾ [3]، فالمذبذبين من المنافقين ليست لهم عقيدة ثابتة يثوبون إليها، "وإنما عنى الله بذلك: أن المنافقين متحيّرون في دينهم، لا يرجعون إلى اعتقاد شيء على صحة، فهم لا مع المؤمنين على بصيرة، ولا مع المشركين على جهالة، ولكنهم حيارَى بين ذلك، فمثلهم المثلُ الذي ضرب لهم رسول الله ﷺ" [4]، وقال النبي ﷺ قال: «مثَلُ الْمُنَافقِ كمَثَلِ الشّاةِ الْعَائرَةِ بين الْغنَمَيْنِ تَعيرُ إلى هذه مرّةً وَإِلَى هذه مرّةً»[5].

فالمنافق لعدم يقينه فيما يعتقد لا تستقر نفسه، ولا يثبت جَنَانه؛ فهو مرة إلى أهل

---

(١) معالم التنزيل في تفسير القرآن – تفسير البغوي محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق/ عبد الرزاق المهدي، ط دار إحياء التراث العربي –بيروت، أولي ١٤٢٠ه، (٣/ ٣٢٦)

(٢) سورة الحج: ١١.

(٣) سورة النساء: ١٤٣.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري تحقيق: أحمد محمد شاكر ط مؤسسة الرسالة– بيروت، أولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م، (٣٣٥/٥).

(٥) رواه مسلم في صحيحه– كتاب صفات المنافقين وأحكامهم – حديث رقم (٢٧٨٤)،ويراجع كتاب/ شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمّى إكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِد مُسْلِم: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، تحقيق/ الدكتور يحْيَى إسْمَاعِيل، ط دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، أولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م، (٨/ ٣١٣)

الإيمان ومرة إلى أهل الكفر، حسب مصالحه وأهواءه[1]؛ فمقياسه الوحيد مدي ما يعود عليه من نفع دنيوي زائل؛ فالإسلام لا يريد ذا الوجهين ؛ بل يريد الثابتين الموقنين .

ولخطورة التلوّن وعدم الثبات على الدين، جاءت آثار كثيرة عن السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في ذمّ التلون في الدين، والتنقل بين الأهواء، وعدم الثبات على السنة والحق، وجعلوا ذلك من أعظم علامات أهل الأهواء والبدع، بل واقع أهل البدع وتاريخهم يثبت حيرتهم وتقلبهم بين الأهواء بحسب المصالح والأغراض، وباختلاف العقول والأهواء.

دخل أبو مسعود الأنصاري على حذيفة ﷺ فقال: أوصنا يا أبا عبد الله. فقال حذيفة: أما جاءك اليقين؟! قال: بلى وربي. قال: (فإن الضلالة حق الضلالة: أن تعرف اليوم ما كنت تنكر قبل اليوم، وأن تنكر اليوم ما كنت تعرف قبل اليوم، وإياك والتلون، فإن دين الله واحد)[2]، وعن عدي بن حاتم: (إنكم لن تزالوا بخير ما لم تعرفوا ما كنتم تنكرون، وتنكروا ما كنتم تعرفون، وما دام عالمكم يتكلم بينكم غير خائف).[3]، وسئل محمد بن كعب القرظي: ما علامة الخذلان؟ قال: (أن يستقبح الرجل ما كان يستحسن ويستحسن ما كان قبيحاً)[4]، وعن عمر بن عبدالعزيز قال: (من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل)[5]، فالإسلام إنما جاء بالحق الصريح في مجال الغيبيات والتشريعات والآداب حتي يتفرغ الناس لمهام العبادة والقيام بمهام الخلافة في الأرض؛ ولا داعي لأن يشغل الناس أوقاتهم بالقيل والقال في شيء حُسم بالقول الفصل في كتاب

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، (١٦/ ٦٩)

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف (٢٤٩/١١)، وابن الجعد في المسند (ص:٤٥٢)،، واللالكائي في السنة (٩٠/١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤٢/١٠)، وغيرهم.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٩٢/٤٠).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٢١٤/٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٤٧/٥٥).

(٥) رواه مالك في الموطأ (٤٠٢/٣)، والدارمي في السنن (١٠٢/١)، والآجري في الشريعة (٤٣٧/١).

الله وسنة نبيه ﷺ فثبات الناس على الحق يعني مزيدا من التفرغ للقيام بمهام الدعوة والخلافة عن الله – تعالي– في أرضه.

هذه هي الطريقة المرضية، لا تناقض فيها ولا ضلال، ولا يمكن للعبد المسلم أن يجمع بين الحق والباطل، وبين أهل السنة والبدعة، فالحق واحد وواضح، والضلال كثير وفاضح؛ قال سهل بن عبد الله التستري: " حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين، وفيه سكون إلى غير الله، وحرام على قلب أن يدخله النور، وفيه شيء مما يكره الله عز وجل"(١)

فثبات أهل السنة نابع من مصدر تلقيهم (الكتاب والسنة)؛ فلم يأخذوا دينهم عن الرجال، آمنوا بكل ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ بخلاف غيرهم من أهل الفرق الضالة الذين جعلوا القرآن والسنة تبعا لأهوائهم، وفهموه وفق آراءهم الفاسدة التي لا سند لها لا من الشرع ولا العقل ولا من اللغة، فهم إما معطلّة وإما مشبهّة، بعكس أهل السنة فهم مُنزِّهه، " وأما سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقه ؛لأنهم رجعوا إلى معقولهم وخواطرهم وآرائهم فطلبوا الدين من قبله؛ فإذا سمعوا شيئا من الكتاب والسنة عرضوه على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه ؛فإن اضطروا إلى قبوله حرفوه بالتأويلات البعيدة والمعاني المستنكرة، فحادوا عن الحق؛ وزاغوا عنه؛ ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة تحت أقدامهم تعالى الله عما يصفون، وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم ؛وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة فإن وجدوه موافقا لهما قبلوه وشكروا الله عز وجل ؛حيث أراهم ذلك ووقفهم عليه وإن وجدوه مخالفا لهما تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق وقد يري الباطل،

(١) المنتخب من كتاب الزهد والرقائق: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق/ عامر حسن صبري، ط دار البشائر الإسلامية – بيروت، أولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ص ٥٩.

وهذا معنى قول أبي سليمان الداراني وهو واحد زمانه في المعرفة:" ما حدثتني نفسي بشيء إلا طلبت منها شاهدين من الكتاب والسنة فإن أتى بهما وإلا رددته في نحره أو كلام هذا معناه"(١)

(١) الانتصار لأصحاب الحديث: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق/ محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، مكتبة أضواء المنار – السعودية، أولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، ص ٤٤– ٤٥.

المبحث الرابع
نماذج من محن الأئمة وصبرهم على السنة

إنّ من أعظم ما يُسلّي العبد السنيّ المبتلى من قِبَل أهل البدع والهوى، نظره في سِيَر وتاريخ الأولين، من الأنبياء والمرسلين، والصحابة الأكرمين، والأئمة المعتبرين، والهداة المهتدين، وكيف واجهوا البلاء في ذات الله، فصبروا حتى علا شأنهم، وارتفعت منزلتهم، وكبت الله عدوّهم، وأخزاهم في الدنيا والآخرة،" قيل لحمدون القصار(١) ما بال كلام السلف أنفع من كلامنا، قال: لأنهم تكلموا لعز الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق.....، وقال من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجات الرجال.(٢)

وهذا مقصد عظيم من مقاصد ذكر الله تعالى لأخبار الرسل وقصصهم في كتاب الله تعالى، كما قال المولى عز وجل: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾(٤)، وقال سبحانه: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾(٥).

يقول الإمام الطبري(٦): (فلم يُخلِ جلّ ثناؤه أحداً من مُكرّمي رُسُله، ومقرّبي

---

(١) هو: حمدون القصار، شيخ الصوفية، أبو صالح، حمدون بن أحمد بن عمارة النيسابوري، قدوة الملامتية: وهو تخريب الظاهر وعمارة الباطن، مع التزام الشريعة سير أعلام النبلاء(١٠/٤٥٩.)

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي: مرجع سابق (٢/ ٣١٣- ٣١٤).

(٣) سورة هود: ١٢٠.

(٤) سورة الأنعام: ٣٤.

(٥) سورة الأحقاف: ٣٥.

(٦) محمد بن جرير ابن يزيد بن كثير، الامام العلم المحتهد، عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان.تراجع ترجمته وافية في سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/ ٢٦٧وما بعدها).

أوليائه، من محنة في عاجلة دون آجلة؛ ليستوجب بصبره عليها من ربه من الكرامة ما أعد له، ومن المنزلة لديه ما كتبه له)[1].

وقال له ﷺ ولأتباعه رضوان الله عليهم: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [2]. قال وهب بن منبه[3]: (من أصيبَ بشيءٍ من البلاء فقد سُلكَ به طريقُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) [4].

ولأجل هذا المقصد وهو تسلية المصاب والمبتلى، سأسرد للقارئ الكريم جملة من قصص العلماء، وكيف كادهم أهل الأهواء، لنقتدي بهم في الصبر على البلاء، ولنعرف خبث وكيد أهل الأهواء، وخطورتهم على السنة وأهلها، وقد اخترت أنموذجين من نماذج المحنة في العقيدة أحدهما مع عالم من علماء المغرب، والآخر مع عالم من علماء المشرق، أسأل الله تعالى لي ولكم الثبات على الحق والسنة، فيا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك.

النموذج الأول: الإمام سحنون[5] وقد امتحن ﷺ بخلق القرآن كما امتحن الإمام أحمد

---

(١) صريح السنة: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، تحقيق بدر يوسف المعتوق، ط دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٥ه، (ص:١٦).

(٢) سورة البقرة:٢١٤.

(٣) وهب بن منبه: ابن كامل بن سيج بن ذي كبار، وهو الاسوار الامام، العلامة الاخباري القصصي، أبو عبد الله الا بناوي، اليماني الذماري الصنعاني تراجع ترجمته وافية في كتاب/ سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ٥٤٤وما بعدها).

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/٥٦).

(٥) هو الإمام العلامة فقيه المغرب أبو سعيد عبدالسلام بن التنوخي الحمصي الأصل المغربي القيرواني المالكي، قاضي القيروان، وصاحب المدونة، ويلقب بسحنون، يقول الذهبي: (قرأت في تاريخ القيروان لأبي بكر عبدالله بن محمد المالكي قال: قال أبو العرب: اجتَمَعَت في سحنون خلال قلّما اجتمعت في غيره: الفقه البارع، والورع الصادق، والصّرامة في الحقّ، والزّهادة في الدنيا، والتخشّن في الملبس والمطعم، والسّمَاحة، كان ربما وَصَلَ إخوانه بالثلاثين ديناراً، وكان لا يَقبل من أحد شيئًا، ولم يَكُن يَهَاب

ﷺ، وثبت كلا منهما في وجه أصحاب الفتنة من المعتزلة ومن وافقهم، ومن تعاجيب تصاريف الله – تعالي– أن هلك من امتحن سحنون، وتعرض له بالأذي، ونجي الله الإمام، وعلت منزلته، وارتفع كعبه في العالمين(١).

النموذج الثاني: محنة الإمام أحمد بن حنبل(٢)، امتُحِ في عقيدته ؛ فامتحنه المعتزلة زمن بني العباس بالقول بخلق القرآن، وضرب وحبس، فصبر وثبت ثبوت الجبال الرواسي، فلم يتزعزع ولم يَلِن ويتنازل عن دينه(٣)، حتى إن الثبات والصبر إذا ذُكرا ذُكر الإمام أحمد، ولثباته وعلمه وديانته كان إماماً لأهل السنّة قاطبة، وأثنى عليه بذلك أهل العلم أجمع، قال قتيبة بن سعيد: (خير أهل زماننا ابن المبارك، ثم هذا الشاب يعني أحمد بن حنبل، وإذا رأيت رجلاً يحب أحمد، فأعلم أنه صاحب سنة، ولو أدرك عصر الثوري والأوزاعي والليث لكان هو المقدم عليهم)(٤)، وقال أيضاً: (لولا الثوري لمات الورع، ولولا أحمد لأحدثوا في الدين، أحمد إمام الدنيا)(٥)، وقال بشر الحافي: (قام أحمد مقام الأنبياء، وأحمد عندنا امتحن بالسراء والضراء؛ فكان فيهما معتصماً بالله)(٦).

سلطاناً في حقٍّ، شديداً على أهل البدع، انتشرت إمامته، وأجمعوا على فضله) سير أعلام النبلاء للذهبي، مرجع سابق، (٦٧/١٢).

(١) يراجع/ معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي، أكمله وعلق عليه/ أبو الفضل أبو القاسم بن عيسي بن ناجي التنوخي، تصحيح وتعليق/ إبراهيم شبوح، ط مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٨م، (٩٣/٢-٩٦)

(٢) هو الإمام حقًا وشيخ الإسلام صدقًا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي أحد الأئمة الاعلام تراجع ترجمته وافية في كتا ب/ سير أعلام النبلاء للذهبي، مرجع سابق، (١٧٧/١١).

(٣) يراجع/ سيرة الإمام أحمد بن حنبل: لأبي الفضل صالح أحمد بن حنبل، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، ط دار الدعوة – الإسكندرية، ١٤٠٤ه، ص ٤٩ وما بعدها .- ويراجع كتاب/ ذكر محنة الإمام أحمد: أبو عبد الله حنبل بن إسحاق بن حنبل، تحقيق/ محمد نغش، بدون بيانات دار النشر، ثانية ١٤٠٣ه – ١٩٨٣م . وكذلك كتاب/ محنة الإمام أحمد بن حنبل: تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد علي المقدسي، تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط دار هجر، القاهرة، أولي ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م. وغيرها كثير.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي، مرجع سابق، (١٩٥/١١).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي، (١٩٥/١١).

(٦) المرجع السابق (٢٠٢/١١).

الخـــاتمة

بعد حمد الله تعالى على إتمام هذا البحث، فهذه أهم النتائج التي توصلت إليها:

١- أن الابتلاء سنة من سنن الله تعالى، ومن أعظم الابتلاء ابتلاء المسلم في عقيدته وتوحيده.

٢- بالابتلاء يتميز المؤمن من المنافق، والصابر من المتزعزع في دينه.

٣- أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.

٤- وجوب أن يوطن العبد نفسه على الابتلاء خصوصا في دينه.

٥- أن العداوة والكيد من أهل الباطل بشتى أصنافهم، من ملاحدة وزنادقة وأهل كفر وملل ونفاق، ومن أهل ضلال وابتداع وأهواء، هو نوع من أنواع البلاء الذي يصيب أهل السنة، كما أصاب الأنبياء قبلهم من مخالفيهم من أهل الكفر والعناد.

٦- أن أهل البدع والضلال سلكوا ضدّ أهل السنة وعلماء الملّة كل سبيل ممكن للنيل منهم، فهم لا يرقبون في صاحب السنّة إلاً ولا ذمّة، فقد وصل الأمر إلى تدبير قتلهم، أو نفيهم أو سجنهم أو تعذيبهم، أو إيقاع الضرر عليهم بأي نوع من الضرر يستطيعونه.

٧- من سنة الله تعالى في امتحان أهل الحق بأهل الباطل، فيعادون أهل السنة، ويكذبون عليهم، ويشوهون صورتهم بالزور والبهتان، ويقلبون الحق باطلًا والباطل حقًا

٨- ومن مكائدهم: كذبهم على أهل السنة، وتزوير الأقوال عليهم، ونسبة الباطل لهم، وتلفيق التهم الجائرة، وإلصاق المعايب بهم، علّهم بذلك ينفِّرون النّاس عن السنة وعن أهل السنة.

٩- ومن مكائدهم كذلك: تأليب السلطان على أهل السنة وعلماءهم، وتشويه صورتهم لديهم، وإظهارهم بمظهر الخارج على الولاة، الداعي إلى الفتنة ونزع يد

الطاعة.

١٠- فضيلة ووجوب الصبر على السنّة وهو أمر يحتاج إلى مجاهدة وثبات، والتجاء برب الأرض والسموات.

١١- جعل الله سبحانه وتعالى للإمامة في هذا الدين شرطين أساسيين، وهما: الصبر واليقين.

١٢- ثمرة الصبر والثبات، وأن العاقبة للمتقين، والخاتمة الحسنة لأهل السنة، وبقاء الذكر الحسن لهم دون غيرهم، وأن مآل البدع وأهلها الافتضاح والعاقبة السيئة في الدنيا والآخرة.

١٣- من عودي من أهل السنة لأجل دينه وعلمه، فإن الله يرفع ذِكْره ويقطع ذِكْر عدوِّه وعدوِّ أهل السنّة.

١٤- من أعظم سمات أهل السنة: الثبات على الدين وعدم التلون بحسب الأهواء، وذلك لأنّهم يقيمون دينهم على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- أخلاق العلماء: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، قام بمراجعة أصوله وتصحيحه والتعليق عليه: إسماعيل بن محمد الأنصاري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية، بدون تاريخ

٢- الأسماء والصفات: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، ط مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، أولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.

٣- أصول السنة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، دار المنار – الخرج – السعودية، أولي ١٤١١ه

٤- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، ط دار الآفاق الجديدة – بيروت، أولي ١٤٠١ه.

٥- الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ط دار العلم للملايين، الخامسة عشر ٢٠٠٢ م

٦- الانتصار لأصحاب الحديث: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، تحقيق/ محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، مكتبة أضواء المنار – السعودية أولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م

٧- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي تحقيق/ عمر عبد السلام التدمري، ط دار الكتاب العربي، بيروت، ثانية ١٤١٣ه – ١٩٩٣م

٨- تاريخ دمشق: أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر – بيروت أولى ١٤١٩ – هـ – ١٩٩٨م

٩- تحرير المنقول وتهذيب علم الأصول: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي، تقريظ: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، تحقيق: عبد الله هاشم،

د. هشام العربي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، أولي ١٤٣٤ه.
١٠- تسلية أهل المصائب: محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ثانية ١٤٢٦ه – ٢٠٠٥م
١١- تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي تحقيق/ سامي بن محمد سلامة، ط دار طيبة للنشر والتوزيع، ثانية ١٤٢٠ ه – ١٩٩٩م
١٢- تلبيس إبليس: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، أولي ١٤٢١ه – ٢٠٠١م
١٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، ط وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب١٣٨٧ هـ
١٤- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق/ محمد عوض مرعب، ط دار إحياء التراث العربي – بيروت، أولي ٢٠٠١م
١٥- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري تحقيق: أحمد محمد شاكر ط مؤسسة الرسالة- بيروت، أولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م
١٦- الجامع الكبير – سنن الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى.
١٧- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق/ محمد زهير بن ناصر الناصر
١٨- طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) أولي ١٤٢٢ه
١٩- جمهرة اللغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق/ رمزي منير بعلبكي، ط دار العلم للملايين – بيروت، أولي ١٩٨٧م
٢٠- خطبة الكتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة، قرأه وعلق عليه: جمال عزون، ط أضواء السلف بدون بيانات دار النشر، أولي ١٤٢٤ه – ٢٠٠٣م

٢١- دستور الأخلاق من وحي الكتاب والسنة: زهير آمدي، ط دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ

٢٢- ذكر محنة الإمام أحمد: أبو عبد الله حنبل بن إسحاق بن حنبل، تحقيق/ محمد نغش، بدون بيانات دار النشر، ثانية ١٤٠٣ه – ١٩٨٣م .

٢٣- ذم الهوي: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق/ مصطفي عبد الواحد، مراجعة/ محمد الغزالي، بدون بيانات دار النشر

٢٤- الرد على الزنادقة والجهمية: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق/ صبري بن سلامة شاهين، ط دار الثبات للنشر والتوزيع، الرياض المملكة العربية السعودية، بدون تاريخ

٢٥- الرسالة: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، تحقيق/أحمد شاكر، ط مكتبة الحلبي، مصر أولي ١٣٥٨ه ١٩٤٠م

٢٦- سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، ط دار الكتاب العربي – بيروت، أولى، ١٤٠٧ه

٢٧- السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، أولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

٢٨- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق/ محمد عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ثالثة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م

٢٩- سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢ه – ٢٠٠١م

٣٠- سيرة الإمام أحمد بن حنبل: لأبي الفضل صالح أحمد بن حنبل، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، ط دار الدعوة – الإسكندرية، ١٤٠٤ه

٣١- شَرْحُ صَحِيح مُسْلِم لِلقَاضِى عِيَاض المُسَمّى إِكمَالُ المُعْلِم بفَوَائِدِ مُسْلِم: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، تحقيق/الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، ط دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، أولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٣٢- الصّبر مطيّة النجّاح قصيدة في الحِكَم: محمد بن أحمد بن عمر مجد الدين أبو عبد الله المعروف بابنِ الظّهِير الإِرَبْيلي، جمعها وفسَر ألفاظها: الشيخ عبد القادر المبارك، قدّم لها وضبط نصها: مازن المبارك، ط دَارُ الفِكر، دمشق، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

٣٣- الصبر والثواب عليه: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ط دار ابن حزم، بيروت - لبنان، أولي ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

٣٤- صريح السنة: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، تحقيق بدر يوسف المعتوق، ط دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ١٤٠٥ه

٣٥- صفة الصفوة: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق/ أحمد بن علي، ط دار الحديث، القاهرة، مصر ١٤٢١ه - ٢٠٠٠م

ط ثانية ١٤٢٤ه - ٢٠٠٣م

٣٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت

٣٧- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، أولي ١٤١٤ه

٣٨- كشف الكربة في وصف أهل الغربة: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني ط الفاروق الحديثة للطباعة والنشر

٣٩- كشف المشكل من حديث الصحيحين: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق/ علي حسين البواب، ط دار الوطن - الرياض، بدون سنة النشر

٤٠- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، تحقيق/ عدنان درويش - محمد المصري، ط مؤسسة الرسالة - بيروت

٤١- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعمان.

٤٢- المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي الفارسي.

٤٣- المحن: محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، أبو العرب، تحقيق/ د عمر سليمان العقيلي، ط دار العلوم - الرياض - السعودية، أولي، ١٤٠٤ه - ١٩٨٤م

٤٤- محنة الإمام أحمد بن حنبل: تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد علي المقدسي، تحقيق/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط دار هجر، القاهرة، أولي ١٤٠٧ه - ١٩٨٧م .

٤٥- مختصر شعب الإيمان للبيهقي: عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد، إمام الدين، أبو القاسم الكرخي التميمي القزويني الشافعيّ، تحقيق/ عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير - دمشق، ثانية ١٤٠٥ه

٤٦- المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١١٤١١ه - ١٩٩٠م

٤٧- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت بدون تاريخ

٤٨- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسدي، أكمله وعلق عليه/ أبو الفضل أبو القاسم بن عيسي بن ناجي التنوخي، تصحيح وتعليق/ إبراهيم شبوح، ط مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٦٨م

٤٩- معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق/ عبد الرزاق المهدي، ط دار إحياء التراث العربي -بيروت، أولي ١٤٢٠ه

٥٠- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة: عبد المنعم الحنفي، ط مكتبة مدبولي - القاهرة، ثالثة ٢٠٠٠م

٥١- المعجم الفلسفي: مراد وهبة، ط دار قباء الحديثة - القاهرة، ٢٠٠٧م

٥٢- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق/ صفوان عدنان الداودي، ط دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، أولي ١٤١٢ه

٥٣- مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة – مفهوم، ونظر، وتطبيق: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط مطبعة سفير، الرياض بدون تاريخ

٥٤- منازل السائرين: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي، ط دار الكتب العلمية – بيروت – بدون تاريخ

٥٥- المنتخب من كتاب الزهد والرقائق: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، تحقيق/ عامر حسن صبري، ط دار البشائر الإسلامية – بيروت، أولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م

٥٦- موسوعة فقه القلوب: محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، ط بيت الأفكار الدولية، بدون بيانات

٥٧- نشر طيّ التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف: محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن عبد الله، أبو حامد، جمال الدين الحبيشي الوَصَابي الشافعي، ط دار المنهاج – جدة، أولي ١٤١٧ه – ١٩٩٧م

فهرس الموضوعات

المقدمة	٨٦
التمهيد	٩٢
المبحث الأول: الابتلاء سنّةٌ من الله على عباده	١٠٠
المبحث الثاني: فضل الصبر على البلاء وأسبابه	١٠٩
المبحث الثالث: ذمُّ التلوُّن وعدم الثّبات	١١٧
المبحث الرابع: نماذج من محن الأئمّة وصبرهم على السنّة	١٢٢
الخاتمة	١٢٥
المصادر والمراجع	١٢٧
فهرس الموضوعات	١٣٣